بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة بتاريخ ١٣يونو ٢٠١٤م

تحويل القبلة دروس وعبر

أولاً – العناصر:

١- فضائل شهر شعبان.
٢- تحويل القبلة - والدروس المستفادة:
أ– مكانة النبي (صلى الله عليه وسلم).
ب– الدعوة إلى وحدة الأمة.
ج- وسطية الأمة .
د- وجوب اتباع النبي (صلى الله عليه وسلم)وطاعته.
هـ- اختبار المؤمنين .
و- الرباط الوثيق بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

ثانيًا– الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١- **يقول الله تعالى: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ}[البقرة: ١٤٢ – ١٤٤]**

٢- **ويقول تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [آل عمران: ٣١].**

٣- **ويقول تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} [النساء: ٨٠].**

٤- **ويقول تعالى : {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ }[الأنبياء: ٩٢].**

الأدلة من السنة :

١- عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ (رضيَ اللهُ عنْهُ) قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْراً مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ؟ قَالَ: «ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِم» [سنن النسائي].

٢- وعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنَّهَا قَالَتْ : «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لَا يُفْطِرُ وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لَا يَصُومُ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَامًا فِي شَعْبَانَ»[صحيح مسلم].

٣- وعن البراء بن عازب (رضي الله عنه) أَنَّ النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) كانَ أولَ ما قَدِمَ المدينةَ نَزَلَ على أَجْدَادِهِ – أو قال أَخْوَالِهِ– من الأنصار ، وَأَنَّه صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ستَّة عَشَرَ شَهْراً، أَوْ سَبْعَة عَشَرَ شَهْراً، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلاةٍ صلاها صلاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قومٌ، فَخَرَج رجُلٌ مِمَّن صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكعُونَ فقالَ أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) قِبَلَ مَكَّةَ فَدَارُوا– كَمَا هُم – قِبَلَ الْبَيْتِ، وَكَانَت اليَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُم إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدسِ، وأَهْلُ الْكِتَابِ، فَلمَّا وَلَّى وجْهَهُ قِبَل الْبَيْتِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ [رواه البخاري].

٤- و عَنْ أَبِى ذَرٍّ (رضي الله عنه) قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَىُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِى الأَرْضِ أَوَّلُ ؟ قَالَ : (الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ) ، قُلْتُ : ثُمَّ أَىٌّ ؟ قَالَ : (الْمَسْجِدُ الأَقْصَى)، قُلْتُ : كَمْ بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ : (أَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ) [صحيح مسلم].

٥- وعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[صحيح مسلم].

ثالثًا – الموضوع:

لقد فضل الله تعالى بعض الشهور على بعض، وجعل لها من المزايا ما يحث المؤمن على الحرص على استغلالها بالأعمال الصالحة ، وإن من هذه الشهور : شهر شعبان المكرم، الذي يتشعب فيه الخير وترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين.

هذا الشهر العظيم له مكانة عظيمة ، ومنزلة رفيعة عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فكان يخصه بمزيد من العبادة ، ويكثر فيه من الصيام ، فكان أكثر ما يصوم في شعبان، فعن عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنَّهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لَا يُفْطِرُ ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لَا يَصُومُ ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَامًا فِي شَعْبَانَ).

وعندما سُئل عن ذلك أخبر (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أنه شهر تُرفع فيه الأعمال إلى الله تعالى، ففي الحديث الذي رواه الإمام النسائي ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ (رضيَ اللهُ عنْهُ) قَالَ : قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْراً مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ ، قَالَ : (ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ) .

وفِي شهرِ شعبانَ استجابَ اللهُ تعالَى لرغبةِ نبيِّه (صلى الله عليه وسلم) فِي تَحويلِ القبلةِ مِنَ المسجدِ الأقصَى إلَى الكعبةِ المشرفة، قبلةِ الخليلِ إبراهيمَ (عليه السلام)، وفي هذا الحدث من الدروس والعبر الكثير والكثير، والأمة الإسلامية في هذا العصر في أشد الحاجة إلى أن تأخذ منه الدروس والعبر والحلول التي تعالج مشكلاتها وتدواي جراحها..

ومن هذه الدروس : مكانة النبي (صلى الله عليه وسلم) عند ربه عز وجل :

فلقد كان المصطفى(صلى الله عليه وسلم) يتجه وهو في مكة إلى بيت المقدس جاعلا الكعبة بينه وبين بيت المقدس ، أي كان يتجه ويصلي للقبلتين معًا، وبعد أن هاجر إلى المدينة وجاء التوجيه الإلهي له أن يتوجه إلى بيت المقدس تعذَّر عليه أن يجمع بين القبلتين، فمكث النبي(صلى الله عليه وسلم) يتوجه في صلاته بأمر ربه إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا وهو في المدينة المنورة، وكان(صلى الله عليه وسلم) يحب أن يتوجه في صلاته إلى المسجد الحرام، ومع هذا التوجه كان المصطفى (صلى الله عليه وسلم) يتلهف شوقًا إلى الاتجاه إلى المسجد الحرام، وكان يرجو الله بقلبه، ويدعو بلسان حاله، موقنًا بأن ربه سيحقق رجاءه، فاستجاب الله له، وأكرمه بتحقيق ما يأمله ويرجوه ، فأمره أن يتوجه إلى الكعبة المشرفة، ونزل قوله تعالى :{ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ

قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ }[البقرة: ١٤٤]، فتحولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة وتظل كذلك إلى يوم القيامة.

وكان في هذا التعبير القرآني {فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا} ما يشير إلى أنها توافق رضا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وهي دلالة على محبة الله لرسوله (صلى الله عليه وسلم) حيث وجهه إلى القبلة التي يرضاها ، قال صاحب المنار: " أَيْ : إِنَّنَا نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ وَتَرَدُّدَهُ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ فِي السَّمَاءِ مَصْدَرِ الْوَحْيِ وَقِبْلَةِ الدُّعَاءِ ؛ انْتِظَارًا لِمَا تَرْجُوهُ مِنْ نُزُولِ الْأَمْرِ بِتَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ، فَسَّرَ بَعْضُهُمْ تَقَلُّبَ الْوَجْهِ بِالدُّعَاءِ ، وَحَقِيقَةُ الدُّعَاءِ هِيَ شُعُورُ الْقَلْبِ بِالْحَاجَةِ إِلَى عِنَايَةِ اللهِ تَعَالَى فِيمَا يَطْلُبُ، وَصِدْقُ التَّوَجُّهِ إِلَيْهِ فِيمَا يَرْغَبُ ، وَلَا يَتَوَقَّفُ عَلَى تَحْرِيكِ اللِّسَانِ بِالْأَلْفَاظِ ، فَإِنَّ اللهَ يَنْظُرُ إِلَى الْقُلُوبِ وَمَا أَسَرَّتْ ، فَإِنْ وَافَقَتْهَا الْأَلْسِنَةُ فَهِيَ تَبَعٌ لَهَا ، وَإِلَّا كَانَ الدُّعَاءُ لَغْوًا يُبْغِضُهُ اللهُ تَعَالَى، فَالدُّعَاءُ الدِّينِيُّ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِإِحْسَاسِ الدَّاعِي بِالْحَاجَةِ إِلَى عِنَايَةِ اللهِ تَعَالَى ، وَعَنْ هَذَا الْإِحْسَاسِ يُعَبِّرُ اللِّسَانُ بِالضَّرَاعَةِ وَالِابْتِهَالِ"[تفسير المنار]، فرضا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من رضا ربه ، وطاعة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من طاعة ربه ، ولذلك قال:{ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا}وقال في آية أخري:{ولسوف يعطيك ربك فترضي}.

ومن الدروس المستفادة أيضًا: أن تحويل القبلة أمرُ الله سبحانه وتعالى يجب التسليم له، وسرعة الاستجابة لأمر الله تعالى وأمر رسوله (صلى الله عليه وسلم): فكم كان هؤلاء الصحابة (رضي الله عنهم) في قمة التشريف لهذه الدعوة؟! عندما جاءهم خبر تحويل القبلة وهم في صلاتهم ، فعن البراء بن عازب (رضي الله عنه) أَنَّ النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) كانَ أولَ ما قَدِمَ المدينةَ نَزَلَ على أَجْدَادِهِ – أو قال أَخْوَالِهِ– من الأنصار ، وَأَنَّه صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ستَّة عَشَرَ شَهْراً، أَوْ سَبْعَة عَشَرَ شَهْراً، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلاةٍ صلاها صلاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قومٌ، فَخَرَج رجُلٌ مِمَّن صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكعُونَ فقالَ أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) قِبَلَ مَكَّةَ فَدَارُوا– كَمَا هُم – قِبَلَ الْبَيْتِ).

وفي حديث ابن عمر (رضي الله عنهما) : (بينما الناس في صلاة الصبح بقُباء إذ جاءهم آتٍ فقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد أُنزل عليه الليلة، وقد أُمِرَ أن يَستقبل الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة) [متفق عليه].

فما أعظم استجابة الصحابة (رضوان الله عليهم) لأمر الله ، فلم ينتظروا حتى يُتموا صلاتهم!! وإنما تحولوا في الحال وهم في هيئة الركوع من قبلة بيت المقدس إلى اتجاه البيت الحرام، حيث أراد الله لهم، وهكذا شأن المسلم الصادق يدور مع أمر الله حيث دار، وحيثما اتجه فوِجْهَتُهُ نحو الله: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ١١٥].

لقد علّمونا (رضي الله عنهم) كيف نستقبل أوامر وتعاليم الإسلام بهذه السرعة استجابة لأمر الله تعالى وأمر رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، فلنتحول كما تحول الصحابة في حادث تحويل القبلة، نتحول بكل قوة وثقة ورشاقة إلى منهج الإسلام بكلياته وجزئياته ، كما تحول الغرُّ الميامين وهم ركوع.

ومن أهم ما يجب أن نتعلمه من هذا الحدث أيضًا : أن الابتلاء والاختبار والامتحان من سنن الله في خلقه:

فقد كان تحويل القِبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة أمرًا شاقًا على النفوس، إلا على الذين هدى الله، وذلك بتسليم الأمر لله عز وجل، فإن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وله الحكمة التامة والحجة البالغة ، يقول تعالى : { وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ }[البقرة: ١٤٣].

وعن البراء بن عازب (رضي الله عنه) قال: (وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال قتلوا، لم ندرِ ما نقول فيهم، فأنزل الله عز وجل: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} أي صلاتكم ، فبين عز وجل أنه من رحمته بعباده المؤمنين لا يضيع أعمالهم، فكيف يظن الناس أن صلاتهم إلى بيت المقدس باطلة.

قال بعض أهل العلم: كان في جعْل القبلة إلى بيت المقدس ثم تحويلها إلى الكعبة حكم عظيمة واختبار للمسلمين والمنافقين والمشركين.

فأما المسلمون فقالوا: سمعنا وأطعنا{ وقالوا آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا}[آل عمران: ٧] وهم الذين هدى الله ولم تكن كبيرة عليهم ، وأما المشركون فقالوا: كما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا، وأما اليهود فقالوا: خالف قِبْلة الأنبياء.

وأما المنافقون فقالوا: ما يدري محمد أين يتوجه؟! إن كانت القبلة الأولى حقًا فقد تركها، وإن كانت الثانية هي الحق فقد كان على باطل ، وكثرت أقاويل السفهاء من الناس ، وكانت كما قال الله تعالى:{وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ} [البقرة:١٤٣] .

وكانت امتحانًا من الله لعباده، ليرى مَن يتَّبعُ الرسول منهم ممن يَنْقَلِبُ على عَقِبَيه، وكثرت أقاويلُ السفهاء مِن الناس ، وأخبر ربنا سبحانه رسوله (صلى الله عليه وسلم) بما سيقولونه عند التحويل قبل أن يتم، وهذا من الإعجاز الغيبي للقرآن الكريم ، فقال:{ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنْ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا}[البقرة: ١٤٢] ثم أنزل الله جواب السفهاء في قوله تعالى:{قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }[البقرة: ١٤٢] ، أي أنّ الحكم والتصرف والأمر كله لله فحيثما وَجَّهَنا تَوَجَّهْنا، ولو وَجَّهَنا كل يوم مرات إلى جهات عديدة فنحن عبيده وفي تصرفه وخدّامه.

كان هذا التحويل اختبارًا لأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومعرفة لمدى استجابتهم وتصديقهم لأوامر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . فالمؤمنون الصادقون في إيمانهم لا يشكون في أي شيء يأمر به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فهم على يقين جازم بأن كل ما جاء به رسول الله حق لا مرية فيه لأنه نبي مرسل .

كذلك من أهم الدروس المستفادة من تحويل القبلة : وسطية الأمة :

لقد أصّل ورسّخ هذا الحدث مبدأ وسطية هذه الأمة، فقد جمعت بين قبلتين عظيمتين ، قبلة إبراهيم (عليه السلام) وأتباعه ، وقبله موسى (عليه السلام) وغيره من أنبياء بني إسرائيل، فأمة الإسلام أمة وسط، ومن ثم قال الله تعالى معللاً ذلك الحدث : {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً}[البقرة: ١٤٣].

فهي وسطية شاملة جامعة: وسطية في الاعتقاد والتصور، ووسطية في الشعائر والتعبد، ووسطية في الأخلاق والسلوك، ووسطية في النظم والتشريع، ووسطية في الأفكار والمشاعر ، مجانبة للغلو والتقصير ، فوسطية الأمة الإسلامية وسطية شاملة.

وحري بالمسلمين أن يعودوا إلى وسطيتهم التي شرفهم الله بها، وحري بمن كفّروا المسلمين وفسّقوا المصلحين أن ينهلوا من وسطية الإسلام.

ومن أهم ما أثمرته هذه الليلة المباركة : وحدة الأمة.

حيث كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومعه المسلمون يستقبلون بيت المقدس بأمر من الله ليؤكد للعالمين أن دعوة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليست بدعًا من الرسل، إنما جاءت تأييدًا وتأكيدًا وتتميمًا للرسالات السابقة.

وهكذا وحّد الله هذه الأمة، وحّدها في إلهها ورسولها ودينها وقبلتها، وحدها على اختلاف المواطن والأجناس والألوان واللغات، ولم يجعل وحدتها تقوم على شيء من ذلك، ولكن تقوم على عقيدتها وقبلتها، ولو تفرقت في مواطنها وأجناسها وألوانها ولغاتها، إنها

الوحدة التي تليق ببني الإنسان، وصدق الله العظيم حيث قال : {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}[الأنبياء: ٩٢].

كان تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام درسًا كبيرًا في الوحدة، فالله تعالى أمرنا أن نكون متحدين متحابين ، فربنا واحد، وكتابنا واحد، ورسولنا واحد، وقبلتنا واحدة، فلماذا لا نكون على قلب رجل واحد؟! فجدير بأمتنا الإسلامية التي لها رب واحد، ورسول واحد ، وكتاب واحد هو القرآن الكريم، وقبلة واحدة ، أن تكون على قلب رجل واحد ، وصدق الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث قال : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)[صحيح مسلم]. فيجب أن تكون وحدتنا في الله ولله تحت راية واحدة وهدف واحد ووسيلة واحدة ومنطلق واحد، ونظام واحد .

فالمسلمون مهما تباعدت أقطارهم ودولهم واختلفت أجناسهم وألوانهم يتجهون إلى قبلة واحدة، فتتوحد عواطفهم ومشاعرهم، ويستشعرون الانتماء الروحي والديني والعاطفي في اتجاههم إلى أقدس بقعة وأشرف مكان اختاره رب العزة سبحانه بيتًا له، وأمر بإقامته والطواف حوله والاتجاه إليه في كل صلاة.

إن الأمة الإسلامية أحوج ما تكون إلى وحدة الصف في ظل الظروف القاسية التي يمر بها العالم اليوم، حيث لا مكان فيه للضعفاء ولا للمتفرقين.

ومن أهم الدروس المستفادة من تحويل القبلة: الرباط الوثيق بين المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد الأقصى بالقدس، وإظهار العلاقة القوية بينهما، حيث جعلهما الله سبحانه وتعالى شقيقين، فالمسجد الحرام هو أول مسجد وضع لعبادة الله، والمسجد الأقصى هو ثاني المساجد، كما ورد في الحديث الشريف عن الصحابي الجليل أَبِى ذَرٍّ (رضي الله عنه) قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَىُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِى الأَرْضِ أَوَّلُ ؟ قَالَ : (الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ)، قُلْتُ : ثُمَّ أَىٌّ ؟ قَالَ :(الْمَسْجِدُ الأَقْصَى)، قُلْتُ : كَمْ بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ: (أَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ).

إن من أهم ما ينبغي على المسلم معرفته: مكانة المسجد الأقصى في كيان هذه الأمة، إذ إنه مَسرى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومعراجه إلى السماوات العلى، وكان القبلة الأولى التي صلى إليها المسلمون، ولا تشد الرِّحال بعد المسجدين إلا إليه، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ

مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ (صلى الله عليه وسلم) وَمَسْجِدِ الأَقْصَى)[متفق عليه]، وفي ذلك توجيه للمسلمين بأن يعرفوا منزلته، ويستشعروا مسئوليتهم نحوه.

لقد ربط الله تعالى بين المسجدين – المسجد الحرام والمسجد الأقصى– ليشعر المسلم أن لكلا المسجدين قدسيته، فهذا ابتدأ الإسراء منه وهذا انتهى الإسراء إليه، قال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}[الإسراء : ١].

وكأن هذا يوحي أن لا يفصل المسلم بين هذين المسجدين ، فمن فرَّط في المسجد الأقصى يوشك أن يفرِّط في المسجد الحرام ، ومن هنا فصيانة واحد منهما صيانة للآخر، والتفريط في واحد منهما تفريط في الآخر، كما أنه يجب حمايتهما معًا وصيانتهما معًا، فإذا كان الله قد ربط بين المسجدين، فمن باب أولى أن يكون الربط بين عمار هذين المسجدين.

ولن تستطيع الأمة أن تحافظ على مقدساتها إلا بالاعتماد على الله عز وجل وتقواه أولاً ثم بوحدة صفها، ثم بالعمل والإنتاج حتى تمتلك قوتها وغذاءها وكساءها ودواءها وسلاحها فتمتلك كلمتها وحريتها وإرادتها.

نسأل الله العلي العظيم أن يوحّد صفوفنا كما وحّد قبلتنا ، وأن يؤلّف بين قلوبنا ويهدينا سواء السبيل، والحمد لله ربّ العالمين .